دوره في بناء القوات المسلحة بعد حرب ٦٧ :

لقد ظُلم الجندي المصري في حرب يونيو ٦٧ التي لم يحارب فيها ولم تتح له فرصة الجهاد الحقيقية كما تمناها وسعى إليها ، فقد استُدرِجَ الجيش المصري إلى معركة لم يحارب فيها ودُفِعَ به إلى سيناء لينسحب بغير حرب تحصده نيران العدو ويهلك تحت وطأة الحر والعطش ..

فقد دَفَعَ هؤلاء الشرفاء ثمن أخطاء قيادتهم العليا من سوء التخطيط والتخبط وعدم تقدير المسئولية الملقاة على عواتقهم ، ففي حين كانت القيادة الإسرائيلية منهارة وظهر هذا في حديث تليفزيوني ألقاه "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي انهار على أثره ونُقل إلى بيته في إعياء شديد ، بينما كان الجيش المصري كامل العدد والعتاد ، إذ بهزيمة ساحقة تنزل على رؤوسنا وتحطِّم قوتنا وتنال من كبريائنا وكرامتنا ، فقد حددت إسرائيل ساعة الصفر لبدء الهجوم في تمام الساعة السابعة وخمس وأربعون دقيقة من صباح يوم الخامس من يونيو ١٩٦٧م

حيث انطلقت الطائرات الإسرائيلية في عدة تشكيلات لتضرب تسع قواعد جوية مصرية كانت تربض فوقها طائراتنا المصرية بعد أن شاركت في عدة مناورات جوية ليلية وهبطت لتريح محركاتها وليحصل طياروها على قسطٍ من الراحة ، وخلال ثلاث ساعات على الأكثر قامت طائرات العدو بتدمير ٣٠٠ طائرة مصرية على الأرض

أي ما يعادل ٧٥ % من القوة الجوية المصرية ، في حين لم يكن في إسرائيل وقت الهجوم الجوي سوى ١٢ طائرة فقط تحمي مجالهم الجوي [١] .

لقد كان عدد طائرات سلاح الطيران الإسرائيلي ٢٠٠ طائرة مقاتلة ومقاتلة اعتراضية وقاذفة مقاتلة ، علاوة على عدد ١٠٥ طائرة هليكوبتر ونقل حربية وتدريب واستطلاع ، اشتركت منها في الضربة الجوية ١٨٨ طائرة وظلت ١٢ طائرة اعتراضية داخل أراضيها والأراضي التي احتلتها بعد حرب ٦٧ منها : ثماني طائرات فوق المطارات ، وأربع طائرات تحت مظلة "دانة" بقطاع غزة ، أما الطائرات المصرية فكانت تبلغ نحو ٤٠٠ طائرة في حين كانت الطائرات الإسرائيلية كما ذكرنا ٣٠٥ طائرة

وهذا يوضح التفوق المصري في سلاح الطيران لاسيما أن صفقات "الفانتوم" و"سكاي هوك" الأمريكيتين لم تكن قد وصلت إسرائيل بعد .. وهذا يوضح فداحة الهزيمة المصرية ومدى استنكارها .. وبعد هذا الهجوم الجوي المباغت أصبحت المعارك البرية محسومة في صالح إسرائيل تمامًا ، ففي اليوم الثالث للهجوم (٧ / ٦ / ١٩٦٧م) اخترقت مدرعاتها قطاع غزة وسيطرت على المضايق وشمالي سيناء ، ثم دخلت القوات الإسرائيلية المعتدية مدينة القدس القديمة وسقطت في يديها بقية مناطق الضفة الغربية لنهر الأردن ،

وفي اليوم الرابع (٨ / ٦ / ١٩٦٧م) وصلت القوات الإسرائيلية إلى قناة السويس ، وفي اليوم الخامس (٩ / ٦ / ١٩٦٧م) احتلت

---

[١] حرب بلا نهاية "للكاتب الأنجليزى :"أنطوان لاجارويا " نشرته جريدة أخبار اليوم فى مقال لها بتاريخ ٢٠٠٢/٦/٥م ص ٦،٧ .

مرتفعات الجولان في سوريا .. وهكذا .. فقد كانت لهذه المعركة نتائج خطيرة فقد وصلت القوات الإسرائيلية إلى الضفة الشرقية للقناة بعد احتلالها لسيناء بكاملها .. لتدخل إسرائيل مرحلة استراتيجية جديدة ومغايرة تمامًا لما كان قبلها ، فهي مرحلة مختلفة تعتمد فيها على نظرية تُعرف بالدفاعات الثابتة ، فقامت بتحصين حدودها لتحقق هدفها الأهم الذي يُعرف بنظرية الحدود الآمنة

ووقف "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي يزهو حينذاك في فخرٍ ويقول : " إن قناة السويس أفضل مانع مائي ضد الدبابات ، وفي نفس الوقت فإن نهر الأردن يحمي إسرائيل من جهة الشرق ، وهذا يجعل أي جيش مهاجم من جهة الشرق مضطرًا لتسلق ثلاثة آلاف قدم من الجبال في الضفة الغربية قبل أن يصل إلى القدس " .

لقد كان لوقع نكسة يونيو ٦٧ أصداءً واسعة في العالم وصدمة قاسية على مصر والعالم العربي إذ كانت هذه السقطة المدوية نذيرًا بضرورة تغيير ذلك النظام الفاسد الذي أدى إلى هذه الهزيمة غير المتوقعة وما ترتب على ذلك من ضياع سيناء والكثير من الأراضي العربية ..

وبعد المعركة تم عزل وزير الدفاع المشير عبد الحكيم عامر وعُين بدلاً منه الفريق أول / محمد فوزي الذي بدأ مشروع إعادة بناء الجيش المصري ومعه قادة مصر المخلصين أمثال عبد المنعم رياض الذي عُين بعد ذلك في منصب رئيس هيئة الأركان ، وعمل جاهدًا على تطوير القوات المسلحة والتجهيز لخوض المعركة الفاصلة

فكان يقول : " إذا وفرنا للمعركة القدرات القتالية المناسبة ، وأتحنا لها الوقت الكافي للإعداد والتجهيز وهيأنا لها الظروف المواتية فليس ثمة شك في النصر الذي وعدنا الله إياه " ، وقال كذلك : " لن نستطيع أن نحفظ شرف هذا البلد بغير معركة .. وعندما أقول شرف البلد فلا أعني التجريد وإنما أعني شرف كل فرد .. شرف كل رجل وكل امرأة " ..

لقد كانت عملية إعادة بناء القوات المسلحة بعد نكسة ٦٧ قد ركَّزت بصفة أساسية على بعض أسلحة القوات المسلحة المؤثرة وعلى رأسها قوات الدفاع الجوي ، وقد بُذلت جهودٌ متواصلة لإتمام بناء منظومة متكاملة للدفاع الجوي المصري ليستطيع أن يواجه بنديَّة سلاح الجو الإسرائيلي والذي يعتبر ذراعه الطولى وسر تفوقه في الحروب

ويرجع الفضل في ذلك للفريق عبد المنعم رياض الذي بدأ حياته العسكرية مهتمًا بهذا السلاح الحيوي وكان ذلك في عام ١٩٤١م حيث عُيِّنَ في سلاح المدفعية والتحق بإحدى البطاريات المضادة للطائرات بالمنطقة الغربية وقد أتاح له موقعه أن يشترك في الحرب العالمية الثانية في مواجهة قوات المحور التي تمثلت في الاجتياح الألماني والإيطالي للصحراء الغربية وما أصابهما من فشل ذريع وهزيمة فادحة في معركة العلمين غيرها على أيدي الحلفاء

وقد استفاد عبد المنعم رياض استفادة عظيمة في هذه المواجهات العسكرية حيث لمس أهمية سلاح الدفاع الجوي الوليد الذي قهر الطائرات

الحربية التي كانت وقتها سلاح جهنمي في الحرب حيث يرجع الفضل في تطوير هذا السلاح بريطانيا التي نجحت في اختراع جهاز "الرادار" الذي كان لاستخدامه إبان الحرب العالمية الثانية تأثيرًا كبيرًا فيما سُمِّي "بمعركة بريطانيا" حيث تمكَّنت بفضله أعداد قليلة من المقاتلات البريطانية من الصمود أمام الأسراب الضخمة من طائرات النازي .

واستطاع سلاح الطيران الملكي إلى البريطاني أن يتصدى للهجوم الجوي الألماني بفضل "الرادار" الذي كان يكتشف الطائرات الألمانية قبل وصولها إلى السواحل البريطانية ، وبناءً على ذلك تصدر أوامر الإقلاع للمقاتلات البريطانية التي يتم توجيهها بواسطة أجهزة "رادارات" أخرى إلى مؤخرة الطائرات الألمانية فتصيبها بدقَّة وسهولة وسط دهشة الطيارين الألمان ..

سلاح الدفاع الجوي البريطاني في الحرب العالمية الثانية

وهكذا تطوَّر سلاح الدفاع الجوي في العصر الحديث ليستخدم في عمله منظومة من طائرات الاستطلاع و"الرادارات" (قصيرة ــ متوسطة ــ طويلة) المدى مع منظومة الدفاعات الأرضية التي تُستخدم فيها صواريخ (أرض ــ جو) (قصيرة ــ متوسطة ــ طويلة) المدى ، وكذلك مدفعية الطائرت السريعة الثابتة والمتحركة ، والصواريخ المحمولة المضادة للطائرت لصدِّ هجوم الطائرات المقاتلة أو الصواريخ الموجهة لتدمير الأهداف الحيوية سواء كانت أرضية أو بحرية أو جويَّة .

وتعتبر الخمسينات من القرن العشرين علامة فارقة في تاريخ الحروب الجوية حيث قام الخبرء العسكريون بعمل إجراءات مضادة لعمل تلك "الرادارات" ، فقد اتجهت الدول المتقدِّمة في مجال التسليح إلى إنتاج مقاتلات وقاذفات يمكنها التحليق على ارتفاعات منخفضة لتصبح بديلاً عن القذفات الثقيلة التي تحلِّق على ارتفاعات كبيرة فيسهل كشفها بواسطة أجهزة "الرادار" وبالتالي يسهل تدميرها قبل وصولها إلى الأهداف التي تريد مهاجمتها

ثم بدأت الدول المتقدِّمة عسكريًّا في إنتاج صواريخ مضادة للطائرات (أرض ــ جو) تحقق نسبة عالية من الإصابة ، وذلك بجانب إنتاج طائرت مقاتلة إعتراضية تقتصر مهامها على اعتراض خط سير الطائرات المغيرة وتدميرها قبل وصولها إلى أهدافها وذلك بمساعدة أجهزة "الرادار" الأرضية التي تقوم باكتشاف طائرات الخصم وتتبعها . وهكذا ومع التقدُّم العلمي الهائل في التكنولوجيا العسكرية أصبح سلاح الدفاع الجوي أشبه بمنظومة متكاملة ، ولنأخذ فكرة عامة عن الدفاع الجوي يمكنَّا تشبيه هذا السلاح

بنظامه المتكامل بجسم الإنسان في وظائف أعضائه المختلفة ، فهو عـينٌ ترى (رادار) ، وعقلٌ يفكر (أطقم من العسكريين يتمتعون بخبـرات عاليـة ويحتشدون في مراكز العمليات الخاصة بالدفاع الجوي ، وقد تطوَّر الأمـر في الآونة الأخيرة لتحل العقول الألكترونية مكان العقول البشرية)

وأيدٌ تبطش (المقاتلات الاعتراضية والصوريخ والمدفعية المضادة للطائرت) وأعصابٌ (أجهزة المواصلات السلكية واللاسلكية المختلفة) تربط هذه العناصر المتباينة .. ويرجع الفضل في ذلك بالدرجة الأولى إلى الفريق عبد المنعم رياض الذي كان تولَّى حينذاك منصب رئيس أركان القوات المسلحة حيث أُختير رئيسًا لأركان حرب القوات المسلحة المصرية في ١١ يونيو ١٩٦٧م فبدأ مع وزير الحربية المصري والقائد العام للقوات المسلحة الفريق أول محمد فوزي إعادة بناء القوات المسلحة والإشراف

على تنظيمها ، وكان الفريق عبد المنعم رياض واحدًّا من أكثر القادة العسكريين ثقافةً وعلمًا في كافة فروع العلوم العسكرية وخاصة الدفاع الجوي الذي كان في الأساس واحدًا من رجاله ، فقد بدأ حياته كما أسلفنا ملحقًا بإحدى بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات بالصحراء الغربية إبان الحرب العالمية الثانية ثم تولى قيادة مدرسة المدفعية المضادة للطائرات عام ١٩٥١م ، ثم عُيِّنَ قائدًا للواء الأول المضاد للطائرات بالإسكندرية عام ١٩٥٣م ، ثم تولَّى قيادة الدفاع المضاد للطائرات في سلاح المدفعية في الفترة من ١٩٥٤م وحتى ١٩٥٨م وفي عام ١٩٦١م أُسند إليه منصب مستشار قيادة القوات الجوية لشئون الدفاع الجوي ، ثم اشترك فيما بين عامي ١٩٦٢م ــ ١٩٦٣م وهو برتبة لواء في دورة خاصة بالصواريخ بمدرسة المدفعية المضادة للطائرات وحصل فيها على تقدير امتياز ومن هنا تتضح أهمية هذا الرجل وتفرده في معرفة هذا السلاح الحيوي ..

وكان قد عُرض عليه قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧ بقليل تولِّي قيادة هذه الشعبة لكنه رفض هذا المنصب ما لم يُؤهل تأهيلاً كاملاً ، وإزاء ذلك

أرسلته الحكومة في دورة تدريبية بالاتحاد السوفيتي درس خلالها عمليات الدفاع الجوي المعقَّدة وعاد إلى مصر ، وكان قد اشترط لتولِّي قيادة الدفاع الجوي أن يتم فصل الدفاع الجوي عن القوات الجوية ويرتدي أفراده زيًّا خاصًا يميزهم عن باقي أفراد القوات المسلحة ، وكان الدفاع الجوي حينئذٍ شعبةً تابعةً للقوات الجوية ، وتحقق لعبد المنعم رياض هذا الحلم ولكن وهو رئيس أركان للجيش ..

وسمعنا في مصر في يونيو ١٩٦٨م لأول مرة عن قوات الدفاع الجوي كما اعتدنا من قبل السماع عن القوات البرية والبحرية والجوية ، وهكذا بدأ تطوير سلاح الدفاع الجوي المصري الشهير ووضع حجر الأساس في بناء حائط الصواريخ الشهير .